الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

أساليب قراءة النصوص في الدراسات الأدبية والنقدية عند العرب وسبل تطويرها

Arab Methods of Reading the Critical and Literal Texts and How to Improve Them

أ. حسين عمر دراوشة
باحث في العلوم اللغوية، محاضر غير متفرغ بجامعة غزة- فلسطين-
hussien2013333@hotmail.com

ملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة أساليب قراءة النصوص في الدراسات الأدبية والنقدية عند العرب وسبل تطويرها، وذلك بتسليط الضوء على مفهوم النص من منظور أهل اللغة والاصطلاح، والحديث عن النص بين المبدع والناقد، وبيان أساليب قراءة النصوص في الدراسات الأدبية والنقدية عند القدماء والمحدثين، والكشف عن سبل تطوير استراتيجية نقدية عربية معاصرة في ضوء الاتصال العلمي والمثاقفة المعرفية، وذلك من خلال طرح رؤية تتمحور حول أسس تطوير أساليب قراءة النصوص في الدراسات النقدية العربية في ضوء جهود القدماء والمحدثين، وتستعرض ركائز الاستراتيجية النقدية العربية المنشودة في ضوء إمكانات الاتصال والمثاقفة، وتقدم مقترحات عامة حول الاستراتيجية النقدية المنشودة في ضوء معطيات العصر الحديث، وتوضيح ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي والبنائي، ومن ثم خاتمة البحث، وفيها نتائج البحث وتوصياته، وهوامشه، وفهرس لمصادره ومراجعه.

الكلمات الدالة: قراءة النصوص، الأساليب، الدراسات الأدبية، العرب والنقد.

Abstract

This research aims to study Arabs methods of reading the critical and literal texts, and how to improve these methods via surveying "Texts" concept and meanings among the linguists, discussing the "Text" between creative and critist, and also via presenting the ancient and modern methods of reading the critical and literal texts. And the study shows the ways of developing a modern Arabic critical strategy in the light of the scientific connection and the cultural knowledge. The study illustrates that the way to achieve all of this, is by giving a clear vision focuses an the basics of developing the methods of reading the critical and literal Arab texts from the ancient and present linguists side. A vision that views the basics of the wanted Arabic critical strategy through the possibilities of modern communication and opened culture; and gives general suggests about the seeked strategy through the present conditions. Finally, this paper explains all of its aims using the descriptive, analytical and constructive methods. Then it puts a conclusion in cluding the results of the research, recommendations, margins and an index of the resouces and references.

Key words: *Text reading, Methods, Literal Studies, Arab and Criticism.*

مقدمة

يعد النقد من الأركان التي تسهم في تنمية الدرس الأدبي مما ينعكس على الواقع اللغوي ومكانة العربية في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة، وتمثل الجوانب النقدية للنصوص الأدبية محوراً رئيساً في معرفة جماليات الخطاب والنص، والحكم على جودة النص المنجز وقيمته، علاوة على رفد الحالة الإبداعية مزيداً من البصائر والتأملات والمقاربات التي تعين المبدع على فهم ظروف الإبداع وطبيعة الولادة الأدبية، وتغذي المتلقي بأفكار وإشارات تعمق فهمه للنص وتحليل رسائله من أجل إعادة خلقه من جديد، مما يضمن حيوية التأويلات وتوليد الدلالات النصية عند المتلقي.

أبدع أهل العربية مناهجهم الخلاقة في استقراء النصوص، وسبر قيمتها الجمالية والوقوف على دلالاتها المركوزة في ثنايا أبنيتها وتراكيبها وأساليبها، وذلك من منطلقات متنوعة، ترمي إلى فهم النصوص والوقوف على تفاصيها وبيان معاني شيفرتها الدلالية، فهل انطلق علماء العربية القدماء والمحدثين في قراءاتهم ونقدهم للنصوص الأدبية من داخل النص أم من خارجه؟، وهل قدسوا النص أم أنهم حملوه أكثر مما يحتمل؟، وما الاعتبارات والمعايير التي ارتكزوا عليها في قراءة النصوص في دراساتهم الأدبية والنقدية؟؛ لذا يسعى هذا البحث إلى الكشف عن منهج قراءة النص في الدراسات الأدبية والنقدية عند القدماء والمحدثين وسبل تطويره في ضوء تعدد القراءات النقدية وأدواتها المنهجية التي أنتجتها الحضارة الحديثة وعلومها، وذلك من خلال تسليط الضوء على مفهوم النص من منظور أهل اللغة وأرباب الاصطلاح، والحديث عن النص بين المبدع والناقد والعلاقة بينهما، والكشف عن أساليب قراءة النصوص واستجلاء معالمها في الدراسات الأدبية والنقدية عند القدماء والمحدثين وما يتعلق بها من أفكار وقضايا، ومن ثم طرح جملة من الأسس والركائز التي تقود إلى تطوير استراتيجية نقدية عربية معاصرة في ضوء الاتصال العلمي والمثاقفة المعرفية، وذلك على مستوى طبيعة أسس تطوير أساليب قراءة النصوص مع الاستفادة من جهود القدماء والمحدثين في هذا المضمار، وعلى مستوى ركائز الاستراتيجية النقدية العربية التي يمكن الاعتماد عليها في ضوء الاتصال العلمي والمثاقفة المعرفية، وتقديم مقترحات عامة حول الاستراتيجية النقدية المنشودة في ضوء معطيات العصر الحديث وإفرازاته، وتوضيح كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي والبنائي؛ لاستجلاء معالم الأساليب قراءة النصوص واستراتيجياتها عند العرب القدماء والمحدثين، وسعياً لاستثمار الإمكانات الفريدة التي أنتجها العقل العربية وثقافته الأصيلة وأساليبه المعاصرة العتيدة في استقراء النصوص وفق آليات واعتبارات حضارية، تنم عن عمق الفكر اللغوي والأدبي والنقدي العربي في ظل ثورة الاتصالات والمعلومات التي أثرت في الإبداع الأدبي والنقدي ومنتجاته؛ لمواجهة حالة التيه النقدي والإشكاليات المنهجية وفوضى المصطلحات، وذلك من خلال بناء رؤية لاستراتيجية نقدية عربية معاصرة، تحمل في طياتها فوائد منهجية شتى، وذلك من خلال محاور البحث وموضوعاته.

المبحث الأول: مفهوم النص من منظور لغوي واصطلاحي

يدور مفهوم النص في اللغة حول منتهى الشيء وبلوغ أقصاه[1]، بمعنى استوى مضمون الكلام على سوقه، وقد عرفه مجمع اللغة القاهري على أنه: "صيغة الكلام الأصلية التي وردت عن المؤلف، وما لا يحتمل إلا معنى واحداً أو لا يحتمل التأويل"[2]، ويلاحظ أن مفهوم النص برز حديثاً في الدراسات اللغوية الغربية، وأخذ مجالاً واسعاً في الدراسات الأدبية والنقدية العربية متأثراً بأهل الثقافة الغربية، فعُرف هاليدي النص على أنه " كل متتالية من الجمل، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات"[3]، بمعنى أن النص مجموعة من التراكيب المتآلفة لغوياً، ويذهب "برينكر" في تعريفه للنص على أنه" تتابع مترابط من الجمل"[4]، وعلى ذلك تمثل الجملة المحور الأساس في بناء النص، وليس معنى ذلك النص هو الجملة، إلا إذا وردت الجملة في سياق محدد.

وعرفه هيلمسليف على أنه :" كل المنطوقات الحقيقية والمحتملة"[5]، وفي هذا يركز على أن النص يتمثل في ما يمتلكه المتكلم من قدرة لغوية، وما تلفظ به من كلام.

وعرفه "هاريس" بأنه:" تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية"[6]، وعرفه "هلبش" بأنه:" تتابع متماسك من الجمل"[7]، وعرفه "هارفج" بأنه:" تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل، لوحدات لغوية"[8]، وعرفه" دايك" بأنه:" بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية"[9]، ويمكن تحديد خصائص مفهوم النص من خلال "تفسير بعض أجزائه بالنسبة إلى مجموعها المنتظم كلياً"[10]، بمعنى أن النص يرتبط بالصورة الكلية التي يتم إنتاجه من خلالها، فلا يوجد نص بلا متعلقات وسياق يدور في خلده، لذا يمثل النص إنتاجاً منطوقاً ضمن خطاب لغوي، يرتبط بـ" النسق الدال الذي ينتج ضمنه(لسان ولغة مرحلة ومجتمع محددين)، ونحو السيرورة الاجتماعية التي يساهم فيها كخطاب"[11]، فتنطلق فلسفة النص من كونه منجز لساني له أنساقه وفضاءاته الخاصة به، فهو " ممارسة مركبة، يلزم الإمساك بحروفها عبر نظرية للفعل الدال الخصوصي الذي يمارس لعبة بداخلها بواسطة اللسان"[12]، فهو يتعلق بحالة لسانية يتم إبداعها وولادتها؛ فيجسد النص بنية متفاعلة تكشف عن" كل ما في اللغة من غرابة وقوة، حين يضع مقولاتها النحوية والدلالية موضع تساؤل، وهو بعمله هذا يخلق اللغة"[13]، بمعنى أن النص يستقطب المرتكزات من أجل إنجازه وولادته وتنظيم أفكاره وبناءاته، فهو يشحن اللغة ويستثمرها من أجل التبلور والكينونة، لقد لاقت مسألة النص مناقشات متنوعة ومختلفة، فبرز في العصر الحديث علم النص واقترن به في كثير من الأحيان علم "تحليل الخطاب"، ووفد إلينا هذا العلم من خلال عوالم الاتصال وعامل المثاقفة بين العرب والغرب. بالرغم من وجود أصول قوية في تراثنا العربي

والإسلامي تسهم في بلورة موقفاً عربياً خالصاً من قضية علم النص وتحليل الخطاب، وهذا الأمر يحتاج إلى فهم متعمق يستجلي المعالم ويقف على السرائر والفرائد التي أنتجها الفكر العربي عند القدماء، والاستفادة من أدوات الحداثة في إعادة فهمه ونشره من جديد.

المبحث الثاني: النص بين المبدع والناقد

يتكون النص من مجموعة من المكونات التي تشكل في مجملها جوهره ونسقه التشكيلي، فيسعى المبدع إلى بناء نصه وفضاءاته من خلال أسلوب حكيم يتسم بالبيان والمقصدية والشاعرية من أجل إضفاء حيوية عليه، ويودع سرائر إبداعه في بنية النص مكوناته، كما يحمله الرسائل التي يريد إرسالها للناقد الذي يمتلك أدواته الخاصة التي يكون بمقدوره استقراء جماليات النص من خلال التعرف على تفاعل أقطاب العملية الإبداعية فيما بينها والتي تتمثل في (المبدع والنص والمتلقي).

وينتج المبدع النص من أعماق روحه الأدبية ويرتكز في ذلك على ملكاته الخاصة في عوالم الإبداع، ويرتشف من سديم خياله الذي يبلور عواطفه ومشاعره وأحاسيسه وأفكاره، ويجسد رؤيته للعالم ونبوءته حول الحدث الأدبي مجرياته بغض النظر عن الجنس أو الغرض الذي ينتمي إليه الإبداع، وينظر الناقد إلى النص على أنه بنية لغوية يمكن تفسيرها في ضوء النظريات النقدية المناهج الأدبية وما يتعلق بها من أساليب وأدوات واستراتيجيات تستهدف في معظمها استقراء جماليات النصوص والوقوف على قيمتها الموضوعية والفنية التي تحويها في طياتها، وتفكيك شيفراتها الدلالية وبيان المعادلات التي بُني عليها النص، كل ذلك يدور في فلك العملية الإبداعية التي تجسد منظومة متكاملة مترابطة بخيوط مختلفة الأشكال ترتبط بحالة الإبداع ومدى جودة سبكه.

إن النص الأدبي يمثل حالة لغوية فريدة ترتبط بحال مبدعها وظروف الولادة الأدبية، وليس معنى ذلك ربط المحيط الخارجي ببنية النص، وإن كان لذلك رسوم وآثار في بنية النص وعوالم قد تكون واضحة أو مخفية بحسب مقدرة المبدع على بلورة مشاعره وأفكاره بطريقة ما يراها من وجهة نظره، فالناقد ينظر إلى النص على أنه منتج إبداعي له قيمته في مجال اللغة والأدب ويحمل رسائل، فلا وجود لنص اعتباطي، ويحاول الناقد جاهداً إلى تشريح النص وتحليله والوقوف على موضوعاته ونسقياته وفضاءات بنائه والحكم عليها، فيقف الناقد من النص موقفاً علمي يتسم بالحكمة النقدية في التعامل مع النص وعدم الإفراط أو التقديس في تطبيق الإجراءات وتوظيف الأدوات النقدية التي يمتلكها من أجل سبر أغوار النص.

يمتلك المبدع المنتج للنص حساً نقدياً في بناء نصه، بمعنى أن المبدع والناقد يشتركان في الحاسة الذوقية عند البحث عن الجمال وتصوير الحدث الأدبي، ويختلف الناقد عن المبدع في كونه يحكم على القيمة الموضوعية الفنية للنص المنجز، فأقطاب العملية الإبداعية تكتمل هيئتها بالحس النقدي المرهف المبني على أسس وأصول علمية تستجلي معالم النصوص خفايا مشكِّلات بنيتها التي يتعامل معها المتلقي والناقد، فالنص هو رابط الصلة بين المبدع والناقد.

المبحث الثالث: أساليب قراءة النصوص في الدراسات الأدبية والنقدية عند القدماء والمحدثين

امتلك أهل العربية الوسائل الخلاقة في استقراء النصوص، والوقوف على معانيها وإثارة القضايا النقدية المتعلقة بذلك في دراساتهم الأدبية، إن تنوع أساليب النقد في الأدب العربي يشي بالحاسة اللغوية المرهفة التي درج علماء العربية على تنمية ملكاتها ورعايتها وفق منظور جمالي خاضع لمعايير وأسس علم البلاغة العربية.

إن الناظر إلى علماء العربية القدماء في دراساتهم المتعلقة بمجال الأدب، يلاحظ أنهم يركزون على الأسلوب وسلامته من الخطأ في اللغة أو الإعراب أو التصريف، ودرسوا ما "يمس صميم البيان والأداء، تلافياً لأخطاء الملكات التي بدأ يدب إليها العي والقصور والعجز بسبب المستعربين والاختلاط بهم، وأخذ علماء الأدب والنقد كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وأضرابهم كأبي عبيدة في عرض المشكلات الأدبية والنقدية والتعليق عليها وإبداء آرائهم فيها"[14] ، ويتحدثون عن الطبائع الفنية التي سار عليها أهل الإبداع من العرب، كالحديث عن مقدمة القصائد وكيفية بناء جسم القصيدة وما يتعلق بذلك من أوزان وقوافي وقضايا موسيقية، وأشاروا لموضوعات تعبر عن الحس النقدي في استقراء النصوص الأدبية، فتعرضوا لقضية اللفظ والمعنى، وقضية الطبع والصنعة والوحدة، وقضية الكثرة في القصيدة، وقضية الصدق والكذب في الشعر، وقضية المفاضلة أو الموازنة بين شعرين أو شاعرين، وقضية السرقات الشعرية، وقضية العلاقة بين الشعر والأخلاق والدين، وقضية المضمون والشكل، وقضية العاطفة والخيال، وقضية الذوق الأدبي، وقضية الجمال والحلاوة والجلال، ونظرية النظم[15]، وكان أساليب العرب القدماء النقدية تعتمد على التذوق اللغوي لطبيعة النصوص مع الارتكاز على طبيعة العملية الإبداعية وكيفية الولادة الأدبية وظروفها، بمعنى موازنتهم بين عوامل خارج النص ومشكِّلاته الداخلية التي تجسد جوهره بمبناه ومعناه، فتنوع القضايا والأساليب يرجع لطبيعة الحركة الأدبية والثقافية والفكرية التي شهدها الساحة العربية، وازدياد زخم الإنتاج اللغوي في التراث العربي بين الأجيال المتعاقبة، مما وفر مساحة كافية لإدارة المعارف في عملية استقراء النصوص والتعرف على قيمتها الموضوعية والفنية، ويلاحظ أن علماء العربية ونقادها في دراساتهم الأدبية قد فقدوا المركزية في كثير من هذه الدراسات، بمعنى غياب الوعي اللغوي والنقدي الرصين، في كيفية التعامل مع السيل العرم من المعارف والعلوم والفنون والآداب التي ترتبط بعملية استقراء النصوص، فبلغ التيه النقدي شأواً لا يُستهان به، مع توفر الإمكانات لنقاد العربية ولكن الساحة النقدية والأدبية تعج بمنهجيات واستراتيجيات قرائية كالبنيوية

والأسلوبية والتفكيكية والسيميائية، قد ذهب بعض نقاد العرب المعاصرين إلى تمجيد كثير منها والمبالغ فيه، في حين ذهب نقاد إلى الارتكاز على مناقشة موضوعات نقدية مستوردة كقضية الواقعية والاشتراكية والتناص والرمز وما إلى ذلك من موضوعات نقدية شكلية لا تمثل صلب إبداعات النص الأدبي.

استطاع نقاد العربية من إنتاج أساليب وإثارة قضايا تهدف إلى الكشف عن قيمة النصوص وجمالياتها الأدبية، فتراوحت أعمالهم النقدية - بشكل توازني- بين داخل النص وخارجه، بمعنى أنهم نظروا إلى القدرات الفنية والموضوعية التي ينتجها المبدع، أما بالنسبة للنقاد المعاصرين اختلفت آرائهم بتعدد مشاربهم ومنهجياتهم في التعامل مع الأدوات أولاً ثم النصوص ثانياً، فتأثر عدد منهم بفكرة موت المؤلف لبارت، فذهب إلى تقديس النص وتحميله أكثر مما يحتمل وعزل صاحبه عنه بمعنى موت مؤلفه، وقد لاقت هذه المسألة وغيرها مناقشات مختلفة بين أوساط النقاد المعاصرين، ويعتمد المنهج القويم في استقراء النصوص الأدبية على مكونات النص ومشكِّلات بنيته وظروف الإبداع والولادة الأدبية فهذه القضية لها آثارها وبصماتها في بينة النص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يستطيع الناقد بيان ملامحها؛ لأن الأديب ابن بيئته ومرآة لها، وليس معنى ذلك أن الأدب واقعي بحث فهو يغذيه بخياله.

إن مرد التخبط النقدي المعاصر في أساليب استقراء النصوص يرجع إلى التأثر بالنقد الغربي والنظر إليه بهيبة وإجلال، بالرُّغم من وجود كنوز تراثية تمثل ركيزة نقدية استراتيجية يمكن إعادة استقرائها واستقبال ما يتماشى مع طبيعة اللغة العربية وفكرها، وإعادة صياغة الفكر النقدي الحديث وفق فلسفة النقد العربي وطبيعة اللغة العربية، التي لا تعدم الوسيلة في إدارة المعرفة اللغوية والنقدية الحديثة نظرياً وتطبيقياً، فحركة النقد العربي تحتاج لفلسفة واضحة ونظرية نقدية عربية معاصرة، يكون بمقدورها تقديم مناهج عربية خالصة من التراث العربي مع تطوير الأساليب والأدوات النقدية التشريحية التي تستهدف النصوص، بمعنى أن الفكرة النقدية موجودة ومطروحة، فينقصها العلمنة والمنطقة من أجل تفكير علمي رصين، يستطيع أن يقدم إنجازات نقدية وابتكارات أدبية تتوافق والتطور النقدي في الأدوات والآراء ووجهات النظر في النص ومتعلقاته، فالتثقيف النقدي من الأدوات التي يجب على الناقد أن يتسلح بها في ظل تداخل المعارف والعلوم والفنون والآداب وتشابكها.

المبحث الرابع: سبل تطوير استراتيجية نقدية عربية معاصرة في ضوء الاتصال العلمي والمثاقفة المعرفية

توفر الإمكانات الفريدة التي أنتجتها الحضارة المعاصرة أرضية خصبة لعملية النقد الأدبي والارتقاء بتنظيراتها وتطبيقاتها، خصوصاً في ظل تلاقح الأفكار والانفتاح الثقافي بين حضارات الأمم وثقافات الشعوب، كل ذلك يدور في فلك الانفجار المعرفي والثورة المعلوماتية التي دبت أرجاء المعمورة، مما زاد حالات المثاقفة بين الثقافات الإنسانية، وتزيد فاعلية ذلك في ظل امتلاك العرب مخزون ثقافي تراثي كبير، يوحي بوفرة الأدوات والوسائل التي يمكن من خلالها تعزيز الجانب النظري والتطبيقي للظواهر الأدبية والنقدية، فيمكن بيان جملة من الأسس التي يتم البناء عليها في بلورة استراتيجية نقدية عربية معاصرة في ضوء وفرة المعلومات والمعارف، وذلك على المستويات الآتية:

المطلب الأول: على مستوى أسس تطوير أساليب قراءة النصوص في الدراسات النقدية العربية في ضوء جهود القدماء والمحدثين

إن اتساع المعرفة وانتشار المعلومات يعزز من فرص التفكير العلمي في القضايا النقدية؛ لأن منطقة النقد وعلمنته من الأسس التي يُمكن أن نضبط بها الإجراءات النقدية وما يتعلق بها من أعمال، ويتجلى سر الصنعة النقدية في فهم النصوص وبيان جمالياتها وقيمها على مستوى شكلها ومضمونها، فأساليب النقد في قراءة النصوص يمكن أن تسير وفق التسلسل العمليات النقدية الآتية:

- تحليل النصوص وتفكيك أبنيتها، بمعنى التنظير للنص والاصطدام به ومحاولة فهم مقاصده والوقوف على رسائله.

- تفسير النصوص، يقوم على معرفة معاني الوحدات اللغوية وأبعادها الدلالية وتجلياتها في السياق للخطاب الأدبي المبني على النصوص.

- الحكم على النقد، من خلال تذوق معانيه والكشف عن رسائله في ظل تعدد منهجيات القراءة.

وثمة إشارات عند إجراء العمليات النقدية السابقة لا بد من الإلمام بها؛ لكونها تسهم في تعزيز الحس العلمي في عملية الحكم النقدي على النصوص، وتكمن هذه الإشارات فيما يلي:

1- انتظام هذه العمليات النقدية – على الترتيب- في استقراء النصوص الأدبية، وبدون ذلك تتداخل الإجراءات ويصبح التطبيق مهلهلاً؛ لأن غياب التطبيق المتفاعل يضر بقيمة الحكم النقدي المطبق.

2- ضرورة التطبيق العملياتي للمنهج المتبع؛ من أجل تعزيز الاستراتيجية القرائية المتبعة في نقد النص والحكم عليه، فكثير من الدراسات النقدية تقر منهجاً أو استراتيجيةً ولكنها في التطبيق تكون بشكل مغاير غير ملتزم بأصول النظرية أو المنهجية أو الاستراتيجية، ويرتبط ذلك بضعف التأهيل النقدي لمن يتصدى لعملية النقد وضحالة معارفة ولزوجة أفكاره وآرائه.

3- إقامة النص في بنية الأساسية التي ورد فيها، وعدم بتر النص في الحكم على عمل أدبي ما، فيتجلى النص في صورته الأصلية.

4- الإلمام بطبيعة مكونات الأجناس الأدبية، فكل جنس خصوصيته في القراءة النقدية نظراً لاختلاف عوامل بناء

نصوصه، فالنص الشعري يختلف عن الروائي عن المسرحي، فلكل جنس هيكليته الفنية.

5- التحرر من الذاتية في استقراء النصوص، وتحكيم الأصول والمعايير التي تُبنى عليها المناهج والاستراتيجيات القرائية في فهم النصوص، ويُلاحظ أن كثير من الدراسات النقدية اعتاد أربابها على الانغماس الكلي مع النص، والذوبان في صوره وجمالياته، ونشر مزيد من الأحكام السطحية التي ينقصها البرهان في تعميق الحكم النقدي وشفافيته في العملية النقدية.

يتضح مما سبق أن النص في الدرس النقدي العربي يحتاج لمزيد من الاستبصار والقراءات المتعمقة في صلب الأجناس الأدبية، من أجل إبراز جماليات نصوص الأدب العربي، ومحاولة التجديد على مستوى الأفكار والأساليب المتعلقة بالحكم النقدي ومعارفه، وتعد البنية المنهجية للتعامل النقدي مع النصوص من الضوابط التي ينبغي أن يُبنى عليها الحس والتفكير النقدي في ظل ازدياد رقعة المعرفة وتوفر الأدوات النقدية وحرية حركتها بين الثقافات والحضارات في عصرنا الحديث.

المطلب الثاني: على مستوى ركائز الاستراتيجية النقدية العربية المنشودة في ضوء الاتصال العلمي والمثاقفة المعرفية

تبدو الحاجة الملحة إلى بناء النقد العربي وفق منهجية علمية منطقية تنظر لإرساء استراتيجية عربية تأخذ على عاتقها الاستفادة من كل المعطيات الحضارية المعاصرة في عالم الأدب والنقد، وتتسم بالشمولية والإلمام والإحاطة بالأدوات والأساليب التشريحية التي تلزم الناقد في إجراءاته وتطبيقاته، ويمكن بناء الاستراتيجية النقدية المنشودة التي نستطيع من خلالها ضبط الواقع النقدي وتوجيه المعرفة النقدية، من خلال الأعمال الآتية:

1- إنشاء مجمع نقدي يهتم بقضايا النقد العربي، ويكون تحت إشراف اتحاد المجامع اللغوية العربية، ويقوم بـ:

- استقراء عيون التراث العربي، وإجراء مقاربات نقدية والتنظير للقضايا المستجدة، ومحاولة تعريب المناهج وفق خصائص العربية وأصولها ومقاييسها؛ لأن لغتنا تمتلك أدوات تنموية خلّاقة نستطيع من خلالها عوربة المعرفة النقدية في الحضارة الإنسانية؛ وليس معنى ذلك التعصب إنما إبراز جمالية اللغة العربية وعالميتها في مجال الأدب والنقد.

- حل الإشكاليات وطرح المقترحات من أجل مواجهة الأزمات والإشكاليات في حقول النقد.

- رسم السياسات النقدية وإعداد مشاريع واقتراح أنشطة تستقرأ التراث العربي، وتلم بالأدوات والأساليب الحديثة.

- تعزيز وشائج التواصل بين النقاد العرب والأعاجم، من أجل الاستفادة من الآخرين، وإكساب قراءاتنا النقدية أساليب جديدة بطريقة عربية، ونكون بذلك ساهمنا في إنتاج المعرفة ببصمات عربية، وإن كان الأسلوب مستعار من ثقافة أخرى، فطرق التفكير والأساليب ليس حكراً على ثقافة دون أخرى، فالعلم رحم بين أبنائه.

- تشجيع ثقافة الابتكار في توليد الأفكار النقدية الهادفة التي توجه المعرفة وتصوب المنهجيات والإنتاجات العلمية.

2- تفعيل دور الجامعات والكليات والمعاهد والمراكز والهيئات واللجان والجمعيات والمؤسسات المختصة بقضايا اللغة العربية وخصوصاً قضايا الأدب والنقد، من أجل زيادة الزخم المعرفي وضبطه وفق منهجية علمية توجه النقاد لحقول العربية ومعارفها، وحل الإشكاليات الفنية من خلال المنهج العلمي والتفكير الناقد المبني على أسس وقواعد سليمة.

3- رقمنة المعرفة النقدية وحوسبتها من خلال إنتاج بنوك للمصطلحات النقدية، وعمل صفحات ومدونات ومواقع نقدية يقع على عاتقها نشر المعارف النقدية العربية بريقة منتظمة تخضع لأصول النقد الأدبي العربي.

4- استثمار أدوات الاتصال الرقمي المتفاعل واستغلالها في إجراءات النقد وعملياته التطبيقية، لقد وفرت هذه الأدوات حيزاً كبيراً أمام ناقدي العربية.

5- تنظيم ندوات فكرية ومؤتمرات علمية ومحاضرات إرشادية وأيام دراسية وورشات عمل نقدية، تنظم بشكل دوري ومركزي حتى نستطيع توحيد الجهود المبذولة في هذا المضمار.

6- إجراء أنشطة نقدية وعقد دورات علمية، وطرح دبلومات تتعلق بعلوم النقد الأدبي العربي، وفتح برامج للنقد في الدراسات العليا بمؤسسات التعليم العالي بالدول العربية.

يمثل ما سبق ركائز وأساسيات تتمركز حول الجوانب التطبيقية لطرح الاستراتيجية النقدية العربية ورسم خيوطها الأولى، فمنهجة العمل في التنظير والتطبيق يسهم في بلورة الفكرة السليمة التي تسهم في تنمية الواقع النقدي وتوسيع آفاقه انطلاقاً من أسس وأصول تمثل الثقافة العربية وخصوصيتها في ظل وفرة الأدوات والوسائل التي يستفيد منها الناقد العربي في تحليل النصوص وتفسيرها وتشريحها، فتبادلات المثاقفة المعرفية تقود إلى حيوية الفكر النقدي العربي، وتفسح المجال أمام أفكار نقدية جديدة تخدم الأدب العربي وقضاياه.

المطلب الثالث: مقترحات عامة حول الاستراتيجية النقدية المنشودة في ضوء معطيات العصر الحديث

ثمة مقترحات عامة لا بد من الإحاطة بها من أجل الوصول للاستراتيجية النقدية المنشودة في ضوء معطيات العصر الحديث، وما وفرته من إمكانات، لا يمكن الاستهانة بها في بلورة الفكر النقدي وضمان فاعليته وحيوية تطبيقاته، وتدور هذه المقترحات حول متعلقات الخطاب النقدي وأفكاره

وقضاياه، والتي تتمثل في:

- الجرأة في الطرح النقدي وإدارة معارفه ونقاشاته، ونقل أحكام النقد الأدبي وقرارات فعالياته وأنشطته من التنظير إلى التطبيق والممارسة الفعلية على نصوص اللغة العربية.

- تعزيز التفكير الجمعي في الارتقاء بعملية النقد وتطبيقاتها في اللغة العربية، في ظل ازدياد الانفتاح المعرفي بين مختلف الثقافات ومعارفها وعلومها وفنونها وآدابها.

- التنسيق والتعاون بين الأفراد والجماعات في حقول النقدي الأدبي؛ مما يساعد على حل الإشكاليات وتفكيك الأزمات الناجمة عن عدم التخطيط أو الوقوع في تشوهات وانحرافات عن التطبيق النقدي.

- المركزية في التخطيط النقدي المبني على أصول واضحة في إجراءاته وتطبيقاته، يسهم في رفع الكفاءة النقدية، ويعزز من أداءها على الساحة العربية.

- الانفتاح على الآخر والاستفادة من ثقافته، ويُلاحظ أن ما تعج به الساحة النقدية العالمية لا يعدو عن كونه طرق وأساليب قرائية تتمحور حول النصوص، وهذه تخدم الحكم النقدي إن أُحسِن استثمارها وفق منهجية حكيمة واعية بأصول النقد الأدبي ومستلزماته.

- تكثيف الجهود النقدية الرقمية وتنظيمها من خلال ما توفره وسائل الاتصال والتواصل في العوالم الافتراضية التي أنتجتها الثورة المعلوماتية؛ لأن سمة التفاعلية ذات وتيرة عالية في الأدوات المحوسبة، وهذا يمنح النقد العربي درجات بيانية ذات مقاصد تأثيرية بشكل أكبر.

- استحداث قاعدة بيانات عربية محوسبة تجمع شتات الجهود النقدية، وتؤمم الفكر النقدي العربي وتعمل على حويته وتجديده من خلال الأسس والمعايير التي توفرها اللغة العربية ومنتجات الحضارة.

- توفير الدعم المادي والمعنوي من أجل طرح مشاريع نقدية تنطلق من استراتيجية نقدية عربية، يكون بمقدورها دعم المحتوى النقدي العربي، ونشره بمختلف الوسائل والأدوات والتطبيقات والبرمجيات الحاسوبية التي أنتجتها الحضارة التكنولوجية.

- إيجاد البدائل النقدية التي تعطي الناقد مساحة كافية للإبداع والتألق في التنظر والتطبيق والممارسة.

- المرونة في التفكير النقدي في ظل المتغيرات المتسارعة، من خلال إجراء المراجعات النقدية وتصحيح الأفكار حتى تأخذ مجراها الصحيح في حركة النقد الأدبي العربي على مر الأزمان والعصور.

يمثل ما سبق ما هو ممكن ومأمول من أجل تحقيق المنشود والوصول إلى طرح استراتيجية نقدية عربية، تستند إلى خصوصية اللغة العربية وحركة النقد في التراث العربي، وما توصل إليه نقاد العربية المعاصرين، فتنوعت أساليب قراءة النصوص في الدراسات الأدبية عند العرب القدماء والمحدثين، وقد أولوا النص أهمية خاصة في القراءة النقدية وإجراءاتها التطبيقية، ولكن اللزوجة النقدية التي مارسها كثير من النقاد لم تسفر عن بلورة نظرية نقدية عربية خالصة، بالرغم من توفر الأرضية الخصبة لذلك، ولعل غياب الوعي المنهجي والتفكير المنطقي أخر إرساء قواعد استراتيجية نقدية عربية، علاوة على اختلاف الذوق في عملية نقد النصوص، كل ذلك يعتمد على درجة التثقيف التي يحملها الناقد ويتسلح بها في تشريح النصوص والوقوف على لبناتها الفنية وقيمها الموضوعية، فتنظيم الأفكار من شأنه السمو بمكانة الدراسات النقدية وتطبيقاتها.

نتائج البحث وتوصياته

اشتمل البحث على كثير من التحليلات المتعلقة بأساليب قراءة النصوص في الدراسات الأدبية والنقدية عند العرب القدماء والمحدثين وسبل تطويرها، ومن أهم نتائجه وتوصياته ما يلي:

أولاً- النتائج:

1- يمثل النص الأدبي بنية لغوية لسانية في الخطاب المنظم، ويرتبط بظروف الإبداع والولادة الأدبية لمختلف الأجناس المنجزة.

2- يمتلك المبدع القيم الموضوعية والفنية للنص المنطوق، ويودعها في أبنيته ونسقياته داخل فضاءات الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه.

3- يجسد الناقد بأدواته وإجراءاته التشريحية والتفسيرية للنصوص حلقة الوصل بين المبدع والمتلقي.

4- يهدف النقد إلى تنمية الذوق الأدبي من خلال الكشف عن القيم الموضوعية والفنية في جماليات النصوص ومعماراتها، والحكم على جودة النصوص وسائل وبناءاتها.

5- يتم إنتاج النص الأدبي في سياق خطابي معين، ويترك بصمات مباشرة وغير مباشرة على تركيب بنية النص، بمعنى أن دراسة النص تقوم على معرفة جو النص والإحاطة به، وليس معنى ذلك تحميل النص ما لا يحتمل.

6- يسهم التحرر من التعصب النقدي والذاتية والتأثر في إضفاء روح العلمية على الإجراءات والأساليب الأدبية والنقدية في استقراء النصوص .

7- تعد المثاقفة من المرتكزات الرئيسة في تنمية الواقع النقدي العربي في ظل الاتصال الرقمي واتساع رقعة المعرفة في العصر الحديث.

8- وفرت الثورة في عالم الاتصال الرقمي أساليب وأدوات متفاعلة لها مردود استراتيجي على حركة النقد الأدبي في حال استثمارها بطرق احترافية.

9- يمثل العمل المركزي الجماعي المبني على التنسيق والتعاون في توجيه الإجراءات النقدية وتعزيز أساليبها في تنمية الدراسات الأدبية والنقدية على الساحة العربية.

ثانياً- التوصيات

1- توحيد الجهود المبذولة في معالجة الإشكاليات النقدية في ظل ما تشهده الساحة الأدبية من تيه وتخبط وفوضى للمصطلحات والتطبيقات.

2- منهجة العمل النقدي وعلمنته في قراءة النصوص من المتطلبات الضرورة التي تنمي الدرس النقدي العربي.

الهوامش

1- (مجمع اللغة القاهري، د.ت: 926/2.

2- (مجمع اللغة القاهري، د.ت: 926/2.

3- (خطابي، 2006: 13.

4- بحيري، 1997: 103.

5- واورزنياك، 2003: 53.

6- واورزنياك، 2003: 54.

7- واورزنياك، 2003: 54.

8- واورزنياك، 2003: 55.

9- واورزنياك، 2003: 56.

10- فضل، 1996: 329.

11- كريستيفا، 1993: 9-10.

12- كريستيفا، 1993: 14.

13- خمري، 1996: 95-96.

14- خفاجي، د.ت: 20.

15- دراوشة والشرعة، 2017: 88 وعبد الرحيم، 1984: 397.

المصادر والمراجع

1- بحيري؛ سعيد. علم لغة النص، الشركة المصرية العالمية للنشر(لونجمان)، ط3، القاهرة 1997م.

2- خطابي؛ محمد. لسانيات النص(مدخل إلى انسجام النص)، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء 2006م.

3- خفاجي؛ محمد. الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع الهجري، رابطة الأدب الحديث، القاهرة.

4- خمري، حسين. نظرية النص في النقد المعاصر(مقاربة سيميائية)، جامعة قسنطينة، رسالة دكتوراه، الجزائر 1996م.

5- دراوشة والشرعة؛ حسين وعبد الكريم. نحو فلسفة نقدية لعلمنة مناهج الدراسات النقدية العربية في ضوء معطيات علم النص والخطاب، مجلة ديالي، ع74، العراق 2017م.

6- عبد الرحيم؛ مصطفى. تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1984م.

7- فضل؛ صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية(لونجمان) ، ط1، القاهرة 1996م.

8- كريستيفا؛ جوليا. علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، ط2، المغرب 1993م.

9- مجمع اللغة القاهري. المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة.

10- واورزنياك؛ زتسيسلاف. مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة وعلّق عليه: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة 2003م.